سلسلة البيئة البحرية (٥)

المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية

السياحة البيئية الساحلية

يوم البيئة الإقليمي - ٢٤ أبريل

محمد عبد القادر الفقي

٢٠١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

السياحة البيئية الساحلية

إصدار خاص بمناسبة الاحتفال بيوم البيئة الإقليمي – ٢٤ أبريل ٢٠١٥

محمد عبد القادر الفقي

مقدمة

السياحة البيئية الساحلية منهل لا ينضب، لمن عرفها، وتبنّى مشروعاتها.

فالسواحل ليست مجرد أماكن للاصطياف والاستجمام والتمتع بالرمال الذهبية والمياه الفيروزية، بل هي أكثر من ذلك. فهي تاريخ عريق يختبئ بين معالمها، وثقافات عميقة تتوارثها المجتمعات المحلية التي تعيش على مقربة منها، وموائل إيكولوجية عظمى تحفل بأنواع شتى من الأحياء البحرية النباتية والحيوانية التي تسهم في توفير الغذاء والدواء للكثيرين، وتضفي جوا من البهجة والجمال لمن يشاهدها.

ولما كانت السياحة البيئية الساحلية لها هذه الأهمية فإننا في المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية حريصون على الترويج لها في الدول الأعضاء. فيكفينا ما حدث من تعديات على سواحل المنطقة البحرية للمنظمة منذ ظهور النفط. لقد آن الأوان لكي نوقف مسلسل الزحف الحضري على البحر، وردم الشواطئ، واقتطاع مساحات من الرصيف القاري لإقامة المشروعات الإسكانية والصناعية والترفيهية، وتصريف مياه المجاري والمياه الصناعية العادمة إلى البحر، وجعل السواحل مكبا للنفايات والمخلفات المنزلية والصناعية بمختلف أنواعها.

إن السياحة البيئية الساحلية هي وسيلتنا للتصالح مع البيئة الساحلية دون أن نحرم البشر من الاستمتاع بجماليات هذه البيئة، ودون أن نحمّل هذه البيئة ما لا تطيق بإثقال كاهلها بما نلقيه فيها من مخلفات.

ومن هذا المنطلق، فإن المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية جعلت شعار الاحتفال بيوم البيئة الإقليمي لعام ٢٠١٥ هو (السواحل البحرية والسياحة البيئية) لتلفت الانتباه إلى أهمية المحافظة على سلامة السواحل البحرية، وفي الوقت نفسه تبارك الجهود التي تبذلها الدول الأعضاء فيها في مجال السياحة البيئية، وإن كنا نعتقد أن هذه الجهود بحاجة إلى المزيد، فما تضمه سواحل المنطقة من إرث بيئي وجمالي وثقافي يستدعي أن نركز الأضواء عليه. فالسياحة البيئية الساحلية مصدر واعد للدخل الوطني، ولا يخضع لما تتعرض له المصادر التقليدية للدخل من تقلبات الأسواق والبورصات العالمية.

وهذا الكتيب الذي نقدمه لك – عزيزي القارئ – يسهم في تعريفك بالسياحة البيئية الساحلية، حيث يركز الأضواء على ماهيتها، وأهدافها، وأهم مواردها، وأنواعها، وأبرز المشكلات التي تواجهها أو تنجم عنها، وكيفية التغلب عليها بتحويل هذه السياحة إلى سياحة ساحلية مستدامة.

والكتيب يحمل بين طياته دعوة لك للمشاركة في هذه السياحة، وفي التعريف بها. فبذلك، يمكننا معا أن نفتح نوافذ جديدة على سواحلنا، قوامها السياحة البيئية، تلك السياحة التي تحترم المكان والبشر، وتقدر الجمال، وتحافظ عليه لمن بعدنا.

وبالله التوفيق، ومنه نستمد العون والتيسير.

تمهيد

حظيت السياحة المعاصرة كنشاط إنساني بأهمية واعتبار كبيرين لم تحظ بهما في أي عصر من العصور السابقة. فقد نجم عن الأنشطة السياحية الكثيفة نتائج وآثار اقتصادية واجتماعية وثقافية وبيئية وعمرانية كان لها أثر عظيم وواضح في حياة المجتمعات والشعوب في عصرنا الحاضر، وهو الأمر الذي استدعى توجيه الاهتمام إلى ضرورة تنظيم وضبط وتوجيه وتقييم هذه الأنشطة للوصول إلى الأهداف المنشودة والمرغوبة وبشكل سريع وناضج بما لا يتعارض مع أسس التنمية المستدامة والاقتصاد الأخضر. ويُعَدُّ قطاع السياحة من أهم القطاعات بالنظر إلى العوائد المالية الكبيرة التي يمكن أن يوفرها في الأمدين المتوسط والبعيد ولما يوفره من فرص لخلق الثروة، والتخفيف من حدة الكثير من المشكلات الاقتصادية، وقد وجدت الكثير من الدول في صناعة السياحة بديلا إستراتيجيا لاستغلال مواردها الطبيعية بشكل يضمن استدامتها، ويغنيها عن الاعتماد على مصادر الثروة الناضبة، فهي الصناعة الأولى من حيث تشغيل اليد العاملة، وأصبح لها دور أساسي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وتعَدُّ صناعة السياحة من أسرع القطاعات الاقتصادية نمواً، وهي تشكل نحو ٢٠ في المائة من الدخل العالمي.

لمحة تاريخية

ويليام موريس

يعدّ ويليام موريس William Morris (١٨٣٤ - ١٨٩٦)، الفنان والكاتب وعالم الاجتماع والناشط الإنجليزي أول من دعا إلى السياحة البيئية، كما عُرف بدعوته إلى المحافظة على نظافة المدن والمنَاخ.

وعلى المستوى الدولي، بدأ الاهتمام بالسياحة البيئية منذ عام ١٩٨٠، حيث تمثل ذلك في إعلان (مانيلا) الذي أكد في أحد بنوده على أن السياحة بكل أنواعها يجب ألا تلحق الضرر بالمصالح الاجتماعية والاقتصادية لسكان المناطق السياحية، أو بالبيئة والموارد الطبيعية والمواقع التاريخية والثقافية. كما شدد هذا الإعلان على أن تلك الموارد جزء من تراث البشرية الطبيعي، وأنه يجب على المجتمعات المحلية الوطنية والمجتمع الدولي بأكمله القيام بالخطوات اللازمة التي تكفل الحفاظ عليها وحمايتها وتنميتها. وأكدت الجمعية العامة لمنظمة السياحة العالمية على هذا التوجه الجديد في مدينة صوفيا البلغارية عام ١٩٨٥ عندما تبنت ما عرف بقانون الحقوق السياحية أو واجبات السياح والتزاماتهم، واتخذت قراراً بضرورة تبني الدول لسياسات سياحية تقوم على أساس حماية الطبيعة واحترامها، وتنمية الاتجاهات الإيجابية لدى الناس نحو مكونات البيئة الحية وغير الحية. كما أكدت على واجبات السائح والتزاماته تجاه المواقع السياحية التي يقوم بزيارتها. ثم بعد ذلك جاءت المؤتمرات الأخرى لتدعم هذه النظرة وهذا التوجه الجديد نحو تنمية السياحة البيئية. وكانت الانطلاقة الكبرى للسياحة البيئية بعد قمة الأرض الأولى التي عقدت في ريو دي جانيرو بالبرازيل، وما صدر عنها من قرارات تتعلق بالبيئة والتنمية المستدامة، لاسيما جدول أعمال القرن الحادي والعشرين، المعروف بأجندة ٢١. فقد أكّد هذا التقرير على أهمية تعزيز التنمية المستدامة في جميع الصناعات بما فيها صناعة السياحة. ومن ثم قامت المنظمات المعنية بالسياحة، مثل المجلس العالمي للسفر والسياحة، ومنظمة السياحة العالمية، ومجلس الأرض Earth Council، بوضع جدول الأعمال الخاص بها، ونشرت في عام ١٩٩٦ جدول الأعمال الخاص بقطاع السفر والسياحة، والمستخلص أساساً من أجندة ٢١ العالمية، وذلك تحت عنوان: (أجندة لصناعة السفر: من أجل تنمية بيئية مستدامة). وتشتمل هذه الأجندة على أولويات العمل في هذا القطاع، وتحدد الأهداف الرئيسية والبرامج والخطوات التنفيذية التي تحققها. كما تركز على

أهمية التعاون والتنسيق بين كافة الجهات الحكومية وغير الحكومية من أجل تحقيق الاستدامة في هذه الصناعة.

ومن أهم المبادئ التي تقدمها تلك الأجندة ما يلي:

١. أن تقوم صناعة السفر والسياحة بمساعدة الناس على العيش بصحة وسلامة وإنتاجية عالية بالانسجام والتعايش السليم مع الطبيعة والحياة الفطرية.

٢. أن تقوم صناعة السفر والسياحة بالإسهام في المحافظة على الأنظمة البيئية وحمايتها وإعادة تأهيلها.

٣. أن تعتمد صناعة السفر والسياحة على تبني الأنماط المستدامة للإنتاج والاستهلاك.

٤. الإيمان بأن السفر والسياحة، والتنمية، وحماية البيئة، قضايا مترابطة.

٥. أن تكون حماية البيئة جزءاً مكملاً لعملية تطوير السياحة.

٦. على الأمم أن تتعاون وتتبادل المعلومات عند حدوث الكوارث البيئية التي قد تؤثر على السياح والمناطق السياحية.

٧. أن تحترم صناعة السفر والسياحة كافة القوانين والمعاهدات البيئية الدولية.

كما أنها حددت أولويات العمل التي تعتزم تنفيذها، وهي ملخصة في المجالات التالية:

١. العمل على تطوير صياغة الأنظمة والقوانين، والإسهام في الدعم الاقتصادي من أجل تحقيق سياحة مستدامة.

٢. تقييم البعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي والثقافي لأعمال المنظمات السياحية.

٣. التدريب والتعليم والوعي بالقضايا البيئية في مجال السياحة.

٤. التخطيط لتنمية سياحية مستدامة، من حيث الإدارة المستدامة للمخلفات والموارد الطبيعية كالماء والطاقة، ونوعية وسائل النقل.

٥. تسهيل تبادل المعلومات والخبرات والمهارات في القطاع السياحي بين الدول النامية والمتقدمة.

وقد سجل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين الميلادي اهتماماً دولياً بشؤون السياحة البيئية وحمايتها، حيث جاءت قضايا إدارة موارد السياحة ومرافقها وحمايتها وتنميتها من الأولويات في سياسات كثير من الدول وفي مجالات تعاونها.

ما هي السياحة البيئية؟

على الرغم من أن مصطلح السياحة البيئية Ecotourism قد بدأ استخدامه للدلالة على أحد فروع السياحة القائمة على الطبيعة nature-based tourism، أو كأحد أشكال السفر للاستمتاع بالطبيعة، فإن هذا المصطلح تم قبوله وتبنيه وتوسيع دلالاته ليشمل المحافظة على البيئة، ومراعاة الأبعاد الاجتماعية والثقافية

والاقتصادية للسياحة. وقد كان من التعاريف الأولى لمصطلح السياحة البيئية ذلك التعريف الذي اقترحه الباحث سيبالوس لاسكورين Ceballos-Lascurain في عام ١٩٨٥، والذي ينص على أن السياحة البيئية هي السياحة التي تتطلب السفر إلى مواقع طبيعية فطرية غير ملوثة، بهدف دراسة هذه المواقع وتقديرها، والتمتع بها، إضافة إلى الاستفادة من التراث الثقافي بالمناطق التي تضم تلك المواقع. ومن التعريفات الأخرى للسياحة البيئية أنها ذلك النوع الترويحي من السياحة الذي يرتبط بالبيئة، أو بمعنى آخر، هي توظيف البيئة لكي تمثل نمطاً من أنماط السياحة التي يلجأ إليها الفرد للاستمتاع بجمال الطبيعة، وبكل ما حوله في البيئة البرية والبحرية. وقد عرف الاتحاد العالمي لصون الطبيعة السياحة البيئية بأنها الترحال المسؤول بيئياً، وزيارة مناطق مازالت نسبياً محتفظة بحالتها الطبيعية، وذلك من أجل الاستمتاع بالطبيعة وحمايتها وتقدير قيمتها، والاستمتاع بالمظاهر الثقافية الأخرى المرتبطة بها، إضافة إلى دعم الوضع الاقتصادي والاجتماعي للسكان المحليين. وبتعبير آخر فإن السياحة البيئية هي لون من ألوان الترويح يهدف إلى الاطلاع على معالم الموروثات السياحية الحضارية والأثرية والدينية والصحية والطبيعية بكل عناصرها (النباتات، والحيوانات والطيور والأسماك، والجبال، والغابات، والصحراء، والسواحل والبحار)، مع المحافظة عليها وفقا لخطة إستراتيجية بعيدة المدى تستهدف إيجاد سياحة شاملة رفيقة بالبيئة.

أما السائح البيئي ecotourist فهو السائح المسؤول الذي يحمي ويحافظ على الحياة الفطرية ومواطنها الطبيعية ويحترم عادات وثقافات المنطقة المُزارة.

خصائص السياحة البيئية

إن جمعية السياحة البيئية The Ecotourism Society، التي تأسست في عام ١٩٩٠ في ولاية فيرمونت Vermont بالولايات المتحدة الأمريكية، تعترف بالجوانب المتعددة للسياحة البيئية، وتعتبر الخصائص السبع التالية ضرورية لتحديد نطاق السياحة البيئية:

١. السفر إلى وجهات طبيعية، عادة ما تكون المتنزهات الوطنية أو المناطق المحمية الأخرى، سواء بشكل دائم أو في مواسم معينة.

٢. تقليل التأثيرات البيئية للسياحة من خلال استخدام منشآت وبنية حساسة بيئيا وثقافيا، وتنظيم أعداد وطريقة سلوك السياح.

٣. تعزيز الوعي البيئي لكل من السياح والسكان المحليين من خلال مرشدين مؤهلين ومدربين جيدا على ذلك، وعلى معرفة بأسس السياحة البيئية وأهدافها ومقوماتها.

٤. استخدام بعض أرباح السياحة البيئية لتوفير موارد لحماية البيئة، وإجراء البحوث المتعلقة بالمحافظة على الموارد الطبيعية، والتعليم والتثقيف البيئي.

٥. توفير مزايا مالية وعوائد اقتصادية للسكان المحليين الذين يعيشون بالقرب من مناطق السياحة البيئية.

٦. احترام الثقافات والعادات والتقاليد المحلية للسكان الأصليين في مناطق السياحة البيئية.

٧. دعم حقوق الإنسان والحركات الديمقراطية.

النمو في صناعة السياحة البيئية

في صناعة السياحة، تُعَدُّ السياحة البيئية نوعا خاصا من أنواع السفر القائم على الاستمتاع بالطبيعة. وهذا النوع من السياحة يُعَدُّ القطاع الأسرع نموا في عالم السفر والترحال، حيث ينمو بمعدل يقدر بـ ٢٥ – ٣٠ ٪ سنويا وفقا لبعض خبراء الصناعة السياحية.

ووفقاً لتقديرات منظمة السياحة العالمية The World Tourism Organization، فإن نصيب السياحة البيئية من صناعة السياحة بوجه عام تراوح من ١٥ إلى ٢٠ في المائة في سنة ٢٠٠٠ م. وثمة تقديرات أخرى تشير إلى أن قرابة ثلث المسافرين الدوليين هم سياح بيئيون أو مسافرون من محبي المغامرات في المناطق الطبيعية.

ويحتل السفر لممارسة رياضة الغوص أكبر منزلة في سوق السياحة البيئية. حيث إن هناك أكثر من ١٤ مليون شخص يمارسون هذه الرياضة في جميع أنحاء العالم.

المنطقة الساحلية

لتعريف السياحة البيئية الساحلية، من الضروري تحديد وفهم مصطلحي المنطقة الساحلية coastal zone والموارد الساحلية coastal resources، إذ إن مدى المنطقة الساحلية وطبيعة الموارد الساحلية لهما تأثير قوي على خصائص السياحة البيئية الساحلية وعلى تنميتها وتطويرها. فعلى سبيل المثال، يتسبب انتشار السواحل الصخرية في إحداث تأثير ملحوظ على ممارسة رياضة الغوص في هذه المناطق، إذ يحدّ منها بشكل كبير. وفي مناطق مختلفة بالعالم، فإن العديد من مواقع الغوص الممتازة تكون بالقرب من الشواطئ، ويمكن الوصول إلى تلك المواقع بدون استخدام القوارب. ولكن إذا كان الساحل صخريا، وطاقة الأمواج فيه قوية، كان الدخول المباشر إلى الماء خطرا. ولهذا، فإن دخول مياه البحر في مواقع محددة والاستعانة بمرشدي الغوص أمر ضروري لغير العارفين بطبيعة تلك المياه وخصائصها.

وقد عرّف (روبرت كاي Robert Kay) المنطقة الساحلية بأنها «النطاق الذي يربط اليابس بالمحيط (ماء وأرض مغمورة بالمياه)، وهذه المنطقة تقام فيها استعمالات الأراضي التي تؤثر في منطقة المحيط أو البحر والعكس. ولهذا فهي غير محددة الطول والعرض والعمق». وقد أكد (كاي) أيضا على أن المنطقة الساحلية تشمل كلا من حدود الأرض والبحر، التي يتم تحديدها حسب درجة تأثير الأرض على البحر وكذلك البحر على الأرض. وأكد على أن هذا التعريف ينطبق كذلك على البيئات الساحلية المختلفة مثل سواحل الدلتات مع اختلاف درجة اختراق المياه المالحة للأرض ومساحة تحرك الرواسب الأرضية داخل البحر.

ومن التعاريف الجغرافية التي حددت المناطق الساحلية ما وضعته (سيسين سان Cicin-Sain) في كتابها عن الإدارة المتكاملة للمناطق الساحلية، حيث ذكرت

أن الساحل هو التقاء البحر باليابس، وقسمت المناطق الساحلية إلى خمسة أجزاء متتابعة، ويمكن ترتيبها من جهة اليابس كما يلي:

١- منطقة اليابسة inland area، وهي الأراضي التي تؤثر في البحار، وتمتد مقابلة للأنهار وخلف الأراضي الساحلية، وغالبا لا يوجد بها تلوث.

٢- الأراضي الساحلية coastal lands، وهي الأراضي المتاخمة لمياه الساحل ويغلب على طبيعتها الخلط والتداخل بين اليابس والمياه، وتوصف أحيانا بالأراضي الرطبة wetlands، ويزيد فيها تركيز الأنشطة الإنسانية التي تتأثر مباشرة بملاصقتها للمياه الساحلية.

٣- المياه الساحلية coastal water، وهي مصب الأنهار والبحيرات والمياه الضحلة حيث يمتد إليها تأثيرات احتياجات الأنشطة الأساسية للأراضي.

٤- المياه الإقليمية offshore water، وهي تمتد بعمق ٢٠٠ ميل (نحو ٣٢٢ كيلومترا)، وتكون متاخمة لأراضي الدولة، وتخضع لسيادتها وفق القانون الدولي.

٥- المياه الدولية high seas، وهي تقع خارج حدود سيادة الدولة.

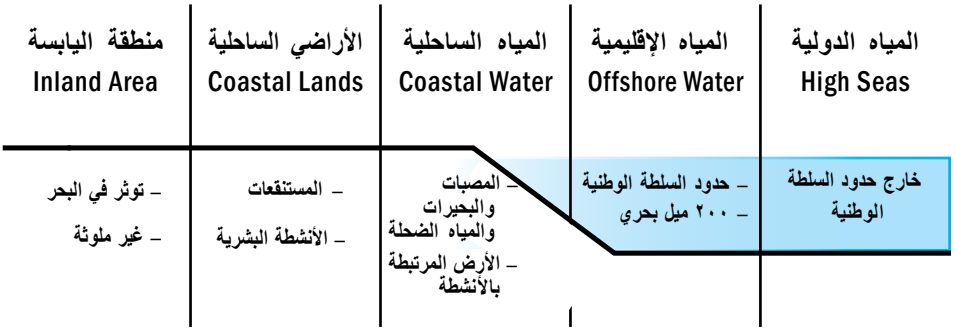

أجزاء المنطقة الساحلية كما أوضحتها سيسين

وبصفة عامة يمكن تعريف المنطقة الساحلية بأنها الشريط الطولي من الأرض والماء الذي يفصل بينهما الساحل، أو بمعنى آخر هي المساحة المتداخلة بين الأرض والبحر، ويتوقف مدى العمق في اتجاه الأرض أو في اتجاه البحر – أي حدود المنطقة الساحلية – على عدة اعتبارات سياسية وإدارية وإيكولوجية وقانونية.

ويمكن تعريف حدود المنطقة الساحلية من خلال قياس مسافة ثابتة أو متغيرة من خط الساحل، أو عن طريق تحديد منطقة استخدام الساحل أو بواسطة عدد من المعايير المختلفة.

ويعطي مدى المنطقة الساحلية مؤشرا حول نطاق المكان المحتمل استخدامه لتطوير السياحة البيئية في تلك المنطقة، كما أنه يفيد في تحديد حجم المسؤولية

الإدارية عن تلك السياحة. وحيثما كانت المناطق الساحلية واسعة النطاق، أو محل نزاع بين أكثر من دولة أو جهة، فإن تطوير وإدارة السياحة البيئية فيها قد يتسبب في بروز عدد من المشكلات التي تحد من استخدام تلك المناطق من قبل السياح البيئيين، كما تحدّ من تنفيذ التدابير البيئية فيها، بما يساعد على التصدي للعديد من مشكلات البيئة الساحلية، مثل تدمير موائل الطيور البحرية وأماكن تعشيش السلاحف البحرية، نتيجة قيام بعض السياح بجمع بيض الطيور والسلاحف، وتلويث الشواطئ من خلال إلقاء النفايات والقمامة على الرمال أو في مياه البحر، وممارسة الأنشطة التي تؤدي إلى تسارع تآكل السواحل.

إن التصنيف المناسب للمنطقة الساحلية مهم أيضا من أجل تحقيق تنمية سياحية بيئية ساحلية سليمة. فعلى سبيل المثال، ثمة مناطق في الحاجز المرجاني العظيم حول أستراليا تم تصنيفها كمراكز للاستخدام السياحي المستدام والحفاظ على التنوع الأحيائي (البيولوجي).

الموارد الساحلية

سبق أن ذكرنا أنه لتعريف السياحة البيئية الساحلية، من الضروري تحديد وفهم مصطلح الموارد الساحلية coastal resources. وتعرّف الموارد الساحلية بأنها "المياه الساحلية للدولة، ومواردها الطبيعية، وما يتصل بها من موائل الحياة البرية والبحرية، ومصبات الأنهار، والمناطق الشاطئية shorelands والبرية المجاورة، سواء تلك التي تم تطويرها وتنميتها أو لم يتم تطويرها وتنميتها، والتي تشكّل معا نظاما بيئيا متكاملا". وتشمل الموارد الساحلية ما يلي:

(أ) المنحدرات bluffs والجروف escarpments الساحلية، وهي تعني بطبيعة الحال المناطق الشاطئية التي تآكلت طبيعيا، والتي تتميز بانحدارات أو جروف cliffs وخنادق بحرية متحركة (ديناميكية) ذات زوايا مائلة، والتي تنجم من تآكل erosion وتعرض الصخور لعمليات التعرية.

(ب) الجبهات الساحلية الصخرية rocky shorefronts، وهي تعني الجبهات الساحلية التي تتألف من صخور الأساس bedrocks، والجلاميد boulders والحصى cobbles التي هي شديدة المقاومة للتحاتّ والتآكل erosion.

(ج) الشواطئ والكثبان dunes، وهي تعني أنظمة الشاطئ بما في ذلك الحواجز والألسنة التي تصل بين الساحل والجزر القريبة، والشواطئ المتاخمة لليابسة، والكثبان والمسطحات الرملية sandflats المجاورة للشاطئ.

(د) مسطحات المد والجزر intertidal flats، وهي تعني المنحدرات الخفيفة أو المناطق المسطحة التي تقع بين أعلى مد وأدنى جزر، وتتكون من الرواسب الرملية والطينية والغرينية وعادة ما تكون خالية من النباتات.

(هـ) الأراضي الرطبة wetlands التي تغمرها مياه المد والجزر. وهي تعرف بأنها مناطق طبيعية أو مصنوعة تغمرها مياه راكدة أو جارية، عذبة أو مختلطة أو مالحة، بما في ذلك نطاقات المياه البحرية التي لا يزيد عمقها على ستة أمتار.

(و) الأراضي الرطبة المتاخمة للساحل التي تغمرها مياه عذبة من المجاري المائية التي تصل إلى تلك الأراضي.

(ز) مصبات الأنهار، وهي عبارة عن مناطق اتصال مياه الأنهار بالبحر، بما في ذلك الخلجان والبحيرات.

(ح) مناطق الخطر الساحلية coastal hazard areas، وهي تعني مناطق اليابسة التي تغمرها مياه البحر خلال حوادث العواصف الساحلية، أو المناطق المعرضة للتحاتّ الناجم عن مثل هذه الحوادث أو المعرضة لمخاطر الفيضانات.

(ط) الجبهات الساحلية المشيدة من قبل الإنسان، مثل مناطق الموانئ والأرصفة البحرية.

(ي) الجزر، وهي الأرض المحاطة من جميع الجوانب بالمياه.

تعريف السياحة البيئية الساحلية

تُعَدُّ السياحة البيئية الساحلية Coastal Ecotourism أحد أنماط السياحة البيئية، إذ إنها تعنى بممارسة هذه السياحة في المناطق الساحلية. كما أنها تقوم على الاستثمار في الموارد الساحلية. وهي تعرّف بالسفر المسؤول إلى المناطق الساحلية الذي يراعي حماية البيئة ويدعم حياة السكان المحليين. وهي تعَدّ من أكثر أنواع السياحة البيئية نمواً وازدهاراً، فمع زيادة الطلب على السياحة البيئية، اتسع نطاق السياحة البيئية الساحلية وامتد إلى مواقع جديدة، كما ازدادت أنشطتها.

والمناطق الساحلية التي تصلح للسياحة البيئية الساحلية هي الشعاب المرجانية، ومناطق غابات القرم mangroves، ومناطق المد والجزر التي بها حظائر تقليدية لصيد الأسماك، والبيئات الساحلية الرملية البكر والنظيفة.

أما الأنشطة التي يمكن القيام بها ضمن هذا النوع من السياحة، فتشمل الغوص والغطس ومشاهدة الحياة الفطرية البحرية، مثل: الحيتان والدلافين وبقر البحر والسلاحف وغيرها، وصيد الأسماك بالطرق التقليدية، ومشاهدة الشعاب المرجانية والأسماك الملونة التي تحوم حولها أو تتخذ موائلها فيها.

والسياحة البيئية الساحلية صناعة قديمة وجديدة في آن واحد. فهي قديمة لكونها امتدادا شرعيا للسياحة الطبيعية التي عرفها الإنسان منذ أن دبت قدماه على سطح كوكبنا الأرضي، وهي جديدة لكون توجهاتها ورؤاها وأهدافها وقيمها ومبادئها تختلف في تفاصيلها عن الأنواع الأخرى من السياحة.

أنواع السياحة البيئية الساحلية

من استقراء التجارب الرائدة على المستوى الدولي في مجال السياحة البيئية الساحلية، يتبين أن هناك ثلاثة أنواع من هذه السياحة يمكن تحديدها:

١- السياحة البيئية الساحلية الذاتية self-ecotourism.

٢- السياحة البيئية الساحلية لمجموعة صغيرة small group ecotourism.

٣- السياحة البيئية الساحلية الشعبية popular ecotourism.

ولكل نوع من هذه السياحة متطلباته من المرافق والأنشطة التي لا بد منها لتلبية رغبات السياح البيئيين.

أهداف السياحة البيئية الساحلية

تسعى السياحة البيئية الساحلية إلى تحقيق عدد من الأهداف، يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولا: الأهداف الاقتصادية:

- توفير أعمال ووظائف جديدة لسكان المنطقة الساحلية.
- دعم ورفع مستوى الدخل المحلي والوطني.

ثانيا: الأهداف البيئية:

- تشجيع الإدارة المستدامة للمناطق الساحلية.
- الاستهلاك المستدام للموارد والثروات الطبيعية بالمناطق الساحلية.

- حماية الحياة الفطرية وتنوعها بالمناطق الساحلية، والعمل على تنميتها .
- حماية التنوع في الموائل الطبيعية الساحلية للحياة الفطرية، والعمل على تأهيلها.
- رفع مستوى الوعي العام بأهمية حماية الحياة الفطرية وموائلها بالمناطق الساحلية.

ثالثا: الأهداف السياحية:

- تحسين ورفع مستوى الخدمات السياحية البيئية الساحلية.
- التخطيط لإدارة متكاملة وشاملة للسياحة البيئية الساحلية.
- رفع مستوى الوعي بعلاقة السياحة البيئية الساحلية بحماية التراث الفطري والثقافي.

رابعا: الأهداف الاجتماعية والثقافية:

- تعميق الوعي الثقافي عند السياح بعادات وتقاليد شعوب المناطق الساحلية وأسلوب حياتهم.
- إشراك السكان المحليين في اتخاذ القرار المتعلق بالسياحة البيئية الساحلية.
- تشجيع السكان على المهن والحرف المحلية الشعبية والتقليدية.

- تعويد السائح على تحمل مسئوليته تجاه حماية الحياة الفطرية بالمناطق الساحلية وموائلها.
- الحفاظ على التراث الثقافي والتاريخي للمناطق الساحلية.
- إكساب السكان المحليين مهارات جديدة، وبالتحديد في مجال السياحة البيئية الساحلية.

خصائص السواحل البحرية في منطقة عمل المنظمة

يبلغ طول السواحل البحرية في الدول الأعضاء بالمنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية كما يلي: مملكة البحرين: ٢٥٥ كيلومتراً، وجمهورية العراق: ١٠٥ كيلومترات، ودولة الكويت: ٧٥٦ كيلومتراً، ودولة قطر: ٩٠٩ كيلومترات، والجمهورية الإسلامية الإيرانية ١٩٥٠ كيلومتراً. وفي حالة الجمهورية الإسلامية الإيرانية إذا أضفنا سواحل الجزر التابعة لها فإن إجمالي طول الشريط الساحلي للدولة سيزيد على ٢٥٠٠ كيلومتر.

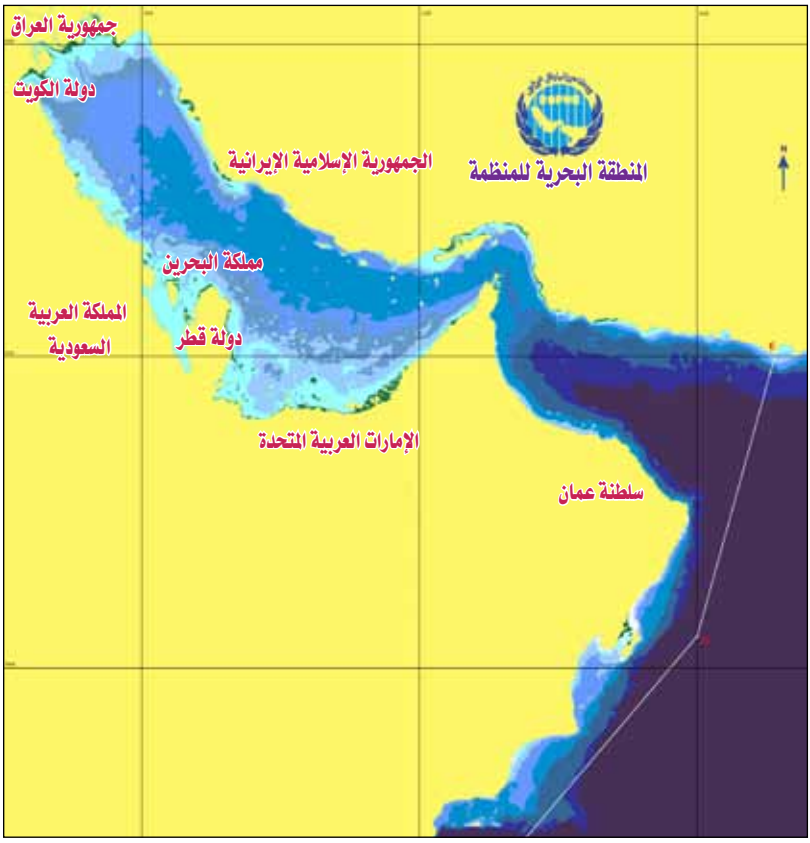

ويبلغ طول السواحل بالمنطقة البحرية للمنظمة في المملكة العربية السعودية ٧٩٠ كيلومتراً، وفي سلطنة عمان: ٣١٦٥ كيلومتراً، وفي الإمارات العربية المتحدة: ٧٣٥ كيلومتراً.

وتعّد سواحل المنطقة البحرية للمنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية موطناً للعديد من الموارد والثروات الطبيعية القيمة، وهي ثرية بالتنوع الحيوي الذي يضم الكثير من الأنواع النباتية والحيوانية. ومن بين الكنوز التي تزخر بها المنطقة: المناطق الرطبة، وأشجار القرم، والأسماك، والثدييات والسلاحف والطيور البحرية، والمرجان، والعديد من الصور الأخرى للحياة والأحياء البحرية. وتتسم سواحل المنطقة البحرية للمنظمة بالتنوع الشديد والفريد. ففي جهة الشمال الغربي توجد السواحل الطمية المسطحة التي تكونت بفعل ترسيب الطمي من مجموعة أنهار دجلة والفرات وكارون. وفي جهة الجنوب توجد سلسلة جبال عمان. وفي سواحل المنطقة البحرية الداخلية للمنظمة، يلاحظ وجود مجموعة من الوديان وكثبان الشاطئ الساحلية والمنبسطات الصخرية البحرية platforms التي تعرضت للنحر والحت abrasion، وأيضاً وجود الرواسب. ويتسم الساحل الغربي للمنطقة البحرية بأنه – بوجه عام – منخفض ومسطح ورملي. وغالباً ما تقوم الحواجز الرملية (المتكونة بفعل المد والجزر أو التيارات المائية) sandbars المغطاة بالكثبان بعزل البحيرات الشاطئية lagoons التي تغمرها المياه في الشتاء ولكنها تكون جافة ومغطاة بالجبس أو الملح في بقية السنة. وتنتشر المسطحات المغطاة بالطحالب والمسطحات الواقعة في منطقة المد والجزر في جنوب أرخبيل جزر البحرين. ويتصف ساحل دولة الإمارات العربية المتحدة بوجود عدد من المسطحات الرملية الفسيحة والبحيرات الشاطئية الواسعة، والحواف ذات الشعاب المرجانية الحاجزة وغير المنتظمة. وفي الطرف الشمالي للمنطقة البحرية يوجد سهل الدلتا الفسيح لأنهار دجلة والفرات وكارون الذي يضم الأهوار والحواجز الرملية والألسنة الرملية spits والجزر ذات الحدود المتغيرة. أما الساحل الشرقي فهو منطقة ترسيب قاري واسعة، وهذا الساحل مسطح ومنخفض حتى بوشهر، ثم يكون صخرياً وشديد الانحدار. وأمام رأس مسندم يأخذ الساحل شكل تجويف recess عند مضيق هرمز، مع جزيرتين رئيسيتين هما: كشم وهرمز. وعلى طول الشاطئ الشمالي تتناوب الجروف الصخرية الساحلية والسهول المنبسطة.

أما ساحل عمان المفتوح على المحيط الهندي فيتضمن مناطق ممتدة، رملية وصخرية، ذات جروف صخرية مسننة. وتمثل الشواطئ الصخرية أحد المعالم الرئيسية لبحر عمان. ويتكون الساحل الجنوبي من ألسنة أرضية صخرية داخلة في البحر، مع جروف صخرية تتناوب مع شواطئ ذات رمال ناعمة تتلاطم عليها أمواج المحيط.

وتتدرج موائل الأحياء التي تقطن المياه الساحلية من الشواطئ المكشوفة إلى المناطق البحرية المفتوحة. وتلعب المنشآت الصناعية (كالمنصات والأرصفة والفرض البحرية، إلخ) والجزر دوراً كبيراً في تنوع الموارد الساحلية بالمنطقة البحرية للمنظمة.

وقد تم تقسيم الموائل الساحلية في منطقة عمل المنظمة إلى: موائل المياه الضحلة التي تقع تحت مستوى المد والجزر، والموائل البين مدية intertidal، والشواطئ الصخرية، والشواطئ الرملية، والشواطئ الطينية. وقد تبين أن التنوع الأحيائي في المنطقة البحرية الداخلية أقل من ذلك الموجود في كل من بحر عمان وبحر العرب بوجه عام. وتم تحديد أربعة موائل بحرية مهمة بالمنطقة، هي: الشعاب المرجانية، والمستنقعات البين مدية، وأشجار القرم ومُهُد الحشائش البحرية، وغابات الأعشاب البحرية Kelp forests. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه توجد بعض الموائل الأخرى المهمة، مثل: الرمال البين مدية والمسطحات الطينية، والشواطئ التي تسود فيها الطحالب والمناطق المرجانية الطحلبية الواقعة تحت مستوى المد والجزر. وتسود الموائل الطينية المجاورة للسواحل في الجزأين الشمالي والشرقي من المنطقة البحرية الداخلية، في حين تسود الرمال في المناطق الجنوبية والغربية.

والجانب العماني من المنطقة البحرية الوسطى – من مضيق هرمز وشبه جزيرة مسندم – يتصف بوجود الجبال العالية، والجروف الساحلية، والشواطئ الصخرية والخلجان الشبه مغلقة.

وتتصف المنطقة الممتدة من شناص إلى مسقط بالسهول الساحلية الفسيحة، والشواطئ الرملية الممتدة لمسافات كبيرة، والمياه الضحلة، مع وجود بعض

الشواطئ الصخرية الصغيرة المبعثرة هنا وهناك، والبحيرات الشاطئية، وأشجار القرم. وفي المنطقة من مسقط إلى رأس الحد توجد جزر بحرية بالقرب من الشاطئ ينمو فيها المرجان وأشجار القرم، كما توجد المصاطب المرتفعة المغطاة بالحصباء، والجروف الساحلية والسهول والأراضي المنبسطة والسبخات. ويوفر الشاطئ الرملي في رأس الحد موئلاً للسلاحف الخضراء تضع فيه بيضها. وتتسم المنطقة الممتدة من رأس الحد إلى مصيرة في سلطنة عمان بشواطئها الرملية التي تقع وراءها الجبال الصخرية. كما يوجد بها أشجار القرم والأعشاب البحرية التي تختلط بمستعمرات المرجان المتناثرة هنا وهناك. وتتصف المنطقة الممتدة من مصيرة إلى رأس مدركة بالشعاب المرجانية الممتدة لساحات كبيرة، والمناطق التي تختلط فيها الطحالب بالمرجان، بالإضافة إلى مُهُد الحشائش البحرية الكثيفة وغابات أشجار القرم. ويوفر القاع الطيني حول جزيرة (محوت) طبقة طينية سفلية مناسبة للروبيان. كما توفر الشواطئ الرملية لجزيرة مصيرة أماكن مناسبة لتفريخ السلاحف البحرية الضخمة الرأس. والمنطقة الممتدة من رأس مدركة إلى رأس شربثات تتسم بوجود كثبان رملية منخفضة الارتفاع، وسهول منبسطة تختلط فيها الرمال بالحصباء، والأخوار الضحلة والمسطحات الكبيرة المعرضة للمد والجزر، وتتناثر فيها أيضاً مستعمرات المرجان التي تختلط بأعشاب البحر. أما المنطقة الممتدة من رأس شربثات إلى (رأس جنجح) فهي ذات شواطئ صخرية ورملية. وتتصف جزر الحلانيات بالسواحل المنحدرة انحداراً شديداً مع وجود المرجان بوفرة وسطح صخري مكسو بالطحالب التي تعتمد عليها السلاحف البحرية في غذائها. وتتصف المنطقة الممتدة من رأس جنجح إلى حدود سلطنة عمان مع الجمهورية اليمنية بالشواطئ الرملية والصخرية التي

تنحدر انحداراً شديداً. وتسهم الشواطئ الصخرية والشعاب المرجانية في دعم نمو أعشاب البحر البنية اللون، في حين تمثل المسطحات الصخرية - المغطاة بكساء من الطحالب – مأوى لرخويات أذن البحر. ويوجد بهذه المنطقة تسعة أخوار ومجموعات من أشجار القرم.

إن هذا التنوع في البيئات والموائل الساحلية بمنطقة عمل المنظمة يوفر موارد متنوعة للسياحة البيئية الساحلية في الدول الأعضاء بالمنظمة.

أنواع الموارد الساحلية في منطقة عمل المنظمة

تضم منطقة عمل المنظمة مجموعة متنوعة واسعة من الموارد الساحلية المتاحة لتنمية السياحة البيئية الساحلية. فبناء على التنوع النباتي والحيواني، وحالة موائل الأحياء الساحلية، يمكن التعرف على النظم الإيكولوجية التي يمكن توظيفها لأغراض تطوير السياحة البيئية الساحلية بالمنطقة. وتتمثل هذه الموارد فيما يلي:

١- الجزر، وخصوصا تلك التي تتكاثر فيها الطيور البحرية، أو تحط فيها الطيور المهاجرة، أو تلجأ إليها السلاحف البحرية للتعشيش، أو التي تحيط بها الشعاب المرجانية، أو التي تعيش بالقرب منها الثدييات البحرية. فعلى سبيل المثال، تضم جزر حوار التابعة لملكة البحرين ثاني أكبر قطيع لأبقار البحر dugongs على مستوى العالم. وتجتذب الحشائش البحرية في شمال هذه الجزر السلاحف الخضراء من نوع *Chelonia Mydas*، وهي أحد الأنواع المهددة بالانقراض، إذ إنها مدرجة ضمن قائمة الاتحاد العالمي لصون الطبيعة (IUCN).

٢- الشعاب المرجانية، وهي تضم تنوعا كبيرا من الأنواع. فعلى سبيل المثال، يوجد في جزر المملكة العربية السعودية نحو ٥٠ نوعاً من المرجانيات. وتوفر حواف الشعاب المرجانية المحيطة بهذه الجزر دعماً جيداً للتنوع الأحيائي الكبير من الأسماك بها، كما أنها تشكل أكبر مناطق الشعاب المرجانية في المنطقة البحرية الداخلية للمنظمة. ويوجد العديد من تجمعات الشعاب المرجانية في المنطقة البحرية للمنظمة، كما توجد جزر مرجانية تمثل

قمة نمو الشعاب المرجانية وتطورها. وتُعَدُّ الشعاب المرجانية أكثر الموارد الساحلية استخداما في أنشطة السياحة البيئية الساحلية الكبرى، أي رياضة الغوص والغطس، وهي تحقق الأهداف التالية:

- التمتع بالنظر إلى جمال الألوان الزاهية لكائنات الشعاب المرجانية.
- مراقبة ومشاهدة العديد من الحيوانات اللافقارية.
- التعرف على الأشكال والتصاميم الهندسية للشعاب المرجانية.
- ملاحظة تدرج الحياة الفطرية لمناطق الشعاب المرجانية.

٣- المياه البعيدة عن الشاطئ، حيث تمثل بعض المناطق البحرية البعيدة عن الجرف القاري في منطقة عمل المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية مواقع ممتازة لمشاهدة بعض الحيوانات البحرية الفريدة مثل الخيلانيات (أبقار البحر)، والحيتان، والدلافين، والسلاحف البحرية.

٤- أشجار القرم (المانجروف): تحتوي المنطقة البحرية للمنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية على نحو ٨ ٪ فقط من الشعاب المرجانية بالعالم. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الموارد الساحلية ما تزال غير مستغلة في السياحة البيئية.

٥- الطيور البحرية: يعيش على سواحل المنطقة البحرية للمنظمة أكثر من ٢٠٠ نوع من الطيور البحرية، من بينها: الغاق السوقطري، ومالك الحزين، والبلشون، وأبو ملعقة، والنحام (الفلامنجو)، والعقبان النسارية، والعديد من

بقر البحر

أنواع النوارس والخرشنة. كما يوجد بسلطنة عمان أكبر مجموعات عالمية من الطيور الشاطئية، إذ يمكن رؤية طائر الزقزاق المائي والزقزاق الرملي والطيطوي الأحمر الساق بها. ويأوى إلى المنطقة البين مد جزرية في سواحل الدول الأعضاء بالمنظمة نحو أربعة ملايين طائر من الطيور الخواضة waders في فصل الشتاء، مما يجعل المنطقة البحرية للمنظمة واحدة من أهم خمس مناطق بالعالم لإيواء هذه الطيور.

الغاق السوقطري

٦- الأراضي الرطبة wetlands، وهي تعدّ نقاطا ساخنة لحفظ التنوع الأحيائي، حيث تحتوي - علي المستوى العالمي - على ما يقرب من ٤٠ ٪ من مجموع الأنواع في العالم. كما أنها مأوى للعديد من الطيور المقيمة والمهاجرة، بالإضافة إلى العديد من الحيوانات الفقارية واللافقارية والهوائم النباتية والكائنات الدقيقة. وتتمثل أهم منتجات الأراضي الرطبة في الأسماك وبعض النباتات المائية كالقصب والبردي.

وتعدّ الأهوار العراقية مثالا على الأراضي الرطبة في منطقة عمل المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية. فهذه الأهوار تُعَدُّ من أكبر المستنقعات المائية في العالم وأكثرها ثراء في تنوعها الإحيائي، حيث تمتد حدودها حول ضفاف نهري دجلة والفرات، وتقع فيها الجزر والغابات والقرى العائمة المبنية من القصب والبردي. وتصل مساحتها إلى ٩٣٣٤ كيلومترا مربعا.

ونظرا لما تتمتع به الأراضي الرطبة والأهوار في منطقة عمل المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية من مقومات الجذب السياحي والمناظر الطبيعية الخلابة، حيث يطيب الجو في موسم الربيع، وفي موسم الشتاء تقصدها أسراب لا حصر لها من الطيور المائية المختلفة الأنواع، وتنتشر فيها شتى أنواع النباتات المائية التي يزهو بعضها بألوان جذابة، فإنها يمكن أن تستغل في السياحة البيئية، وأن يؤمها هواة الصيد وهواة مراقبة الطيور المقيمة والمهاجرة.

٧- السواحل الصخرية Rocky coasts، وهي أيضا مورد مهم من موارد السياحة البيئية، نظرا لما تثيره التضاريس المميزة بها من مناظر طبيعية فريدة. ويمكن القيام بعدة أنشطة ترفيهية في هذه السواحل ليس لها تأثير يذكر على سلامة الأنظمة الإيكولوجية فيها، مثل رياضة ركوب الأمواج surfing، والتجديف. كما أن بعض السواحل الصخرية المكونة من الحجر الجيري تحتوي على العديد من الكهوف التي يفضل بعض السياح دخولها لأغراض الاستكشاف.

وتكمن الأهمية السياحية للسواحل الصخرية فيما يلي:

- المشاهدة والتعرف على أمثلة مختلفة للكائنات الحية في بيئاتها ومواطنها الأصلية.
- ملاحظة ومراقبة الطرق المختلفة لتكيف الكائنات الساحلية لمقاومة الجفاف وحرارة الشمس المباشرة.

- ملاحظة التدرج في توزيع الكائنات الساحلية مع تدرج الظروف البيئية مثل الأمواج والحرارة والرطوبة.

- تمثل الشواطئ الصخرية أوضح مثال على تمنطق الكائنات أي توزيعها في مناطق مختلفة محددة على طول الشاطئ.

رياضة ركوب الأمواج

٧- الشواطئ الرملية والكثبان الساحلية، وهي ذات أهمية خاصة من الناحية السياحية. وأهم ما يميز هذه الشواطئ هو الرمال الناعمة، وعدم انحسار مياه البحر عنها أثناء فترة الجزر. ويمكن استخدام هذه الشواطئ وتلك الكثبان في الوقت الحاضر بشكل مكثف لأغراض السياحة الساحلية الجماعية. ومع ذلك، يجب مراعاة أن بعض الشواطئ هي مواطن لبعض الأنواع المهددة بالانقراض في عدد من البلدان، والتي منها على سبيل المثال السلاحف البحرية.

٨- الموارد الثقافية الموجودة على السواحل، مثل المساجد والأسواق القديمة، والمناطق المحتوية على آثار عريقة أو ترتبط بأحداث تاريخية، ومواقع صنع السفن والقوارب التقليدية، وقرى الحرف اليدوية، يمكن أن تكون أيضا جزءا من الموارد الساحلية المناسبة لتنمية السياحة البيئية.

الكثبان الساحلية

تطوير السياحة البيئية الساحلية في الدول الأعضاء بالمنظمة

إن تنمية السياحة البيئية الساحلية في الدول الأعضاء في المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية تختلف اختلافا كبيرا من دولة إلى أخرى، بل من منطقة إلى أخرى في كل دولة. فسواحل بحر العرب لها خصائصها. وسواحل بحر عمان لها أيضا سماتها المميزة. أما سواحل المنطقة البحرية الداخلية للمنظمة فتختلف في مملكة البحرين عنها في جنوب العراق مثلا. وهذا الاختلاف ليس اختلاف تضاد بقدر ما هو اختلاف تنوع، وهو أمر مطلوب ومرغوب؛ لأنه يسهم في خلق صناعة للسياحة البيئية المتكاملة على المستويين الإقليمي والوطني.

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أنه ليس ثمة علاقة بين تطوير السياحة البيئية الساحلية وبين طول الشريط الساحلي أو عدد الجزر الموجودة في المناطق المغمورة. وغالبا ما تكون الجزر الصغيرة مواقع مثالية لتنمية السياحة البيئية، ولكن مواردها عادة ما تكون هشة، وأنظمتها الإيكولوجية حساسة، مما يجعلها بحاجة إلى مستوى أعلى من الإدارة والمراقبة البيئية.

وتتفاوت دول المنطقة في اهتمامها بتشجيع السياحة البيئية الساحلية، وفي تبنيها لمشروعات استثمار سواحلها وجزرها لهذا الغرض. كما تتداخل سياسات وخطط تطوير السياحة البيئية الساحلية مع سياسات وخطط التوسع الحضري وإقامة المشروعات الإسكانية أو الصناعية أو الترفيهية على السواحل، إن لم تتعارض معها بصورة كلية. وثمة دول سبقت غيرها في الالتفات إلى أهمية السياحة البيئية الساحلية، وتيسير السبل وتقديم التسهيلات اللازمة لمشروعات تلك السياحة. وثمة دول أخرى ما تزال في مرحلة استكشاف هذا العالم السياحي، وبحث إمكانيات الولوج فيه. وفي جميع الحالات، فإن صناعة السياحة البيئية الساحلية في دول المنطقة لم تتطور بالشكل الكافي والملائم والمتناسب مع ما تملكه هذه الدول من قدرات وإمكانيات عظمى لإيجاد سياحة بيئية ساحلية متميزة تسهم في توفير مصدر إضافي للدخل الوطني، وفي

تنمية المجتمعات المحلية التي ستستفيد من عوائد هذه الصناعة بما تفتحه أمام السكان من وظائف جديدة ومهن مساعدة، فضلا عن تسويق المنتجات التقليدية وبيعها للسياح البيئيين.

وكما هي الحال في السياحة الجماعية mass tourism، فإن تطوير السياحة البيئية الساحلية يعتمد على قدرة الدول والشعوب على تبني مشروعات هذه السياحة، وعلى توافر الموارد الساحلية والمرافق الضرورية لانطلاقة هذه المشروعات واستدامتها، وعلى الترويج والدعاية لهذه السياحة في مختلف وسائل الإعلام المقروء والمسموع والمرئي والإلكتروني.

المشكلات والقضايا المرتبطة بالسياحة البيئية الساحلية

إن السياحة البيئية الساحلية، مثل غيرها من الأنشطة البشرية، قد تكون لها آثار سلبية على الحياة الفطرية ومواطنها الطبيعية، وبخاصة إذا لم تتم إدارتها بشكل سليم، ولم توضع لها الأنظمة والضوابط التي تقنن عملها وأسلوب تشغيلها.

فقد أدت الأنشطة السياحية بأعداد كبيرة ومجموعات كثيفة ومستمرة، وبخاصة في المناطق التي تتميز ببيئات ساحلية جميلة ورملية، إلى إحداث ضغوط كبيرة وملموسة على الحياة الفطرية وموائلها الطبيعية، مثل مواطن الشعب المرجانية وأشجار القرم والبيئات الرطبة وغيرها، إضافة إلى تدهور نوعية الخدمات العامة التي تقدم في تلك المنطقة السياحية، مثل معالجة مياه المجاري أو إدارة المخلفات الصلبة، مما نجم عنها تلوث المواطن الطبيعية وتدهور نوعيتها إلى درجة باتت تهدد صحة الإنسان والكائنات الفطرية بالخطر. فعلى سبيل المثال، هناك الكثير من المنتجعات السياحية الساحلية التي لا تقوم بمعالجة المخلفات السائلة أو مياه المجاري التي تنجم عن الأنشطة البشرية، وتصرفها بشكل مباشر إلى المناطق الساحلية القريبة، فتؤدي إلى ارتفاع تركيز البكتيريا المرضية والملوثات الحيوية الأخرى، علاوة على ارتفاع تركيز الملوثات الكيميائية مثل النترات والفوسفات وغيرها من الملوثات الضارة. كذلك هناك الآلاف من السفن والبواخر السياحية التي لا تعالج مخلفاتها السائلة بشكل سليم، فتلقي الملوثات الزيتية وغيرها في البيئة البحرية، إضافة إلى تلوث الهواء الذي ينجم عن حرق وقود هذه البواخر. وهذه الملوثات تكون في نهاية المطاف ظواهر بيئية خطيرة يشاهدها الإنسان أمامه، مثل ظاهرة الإثراء الغذائي eutrophication التي تحول البيئة البحرية إلى غابة كثيفة من الطحالب الخضراء، وظاهرة المد الأحمر red tide وانقلاب لون البحر الجميل إلى لون الدم القاتم، وهذه المناظر يشمئز لها الإنسان،

وتؤدي إلى عزوف السياح عنها، ومن ثم انخفاض الإقبال السياحي على المنطقة برمتها. وعلاوة على ذلك كله، هناك التأثيرات الصحية والاقتصادية التي تؤكد المردودات الصحية والاقتصادية الخطيرة لهذه الظواهر البيئية.

وفي كثير من الأحيان، أدت هذه المشاهد إلى إغلاق المنتجعات السياحية وإغلاق ساحل البحر إلى أجل غير مسمى، والقضاء كلياً على التنمية الاقتصادية.

إن الموارد الساحلية حساسة لآثار التنمية السياحية. وفي السنوات الأخيرة، ظهرت بعض المشكلات والقضايا الأخرى نتيجة زيادة مستوى تنمية السياحة البيئية في بعض المناطق الساحلية. فعلى سبيل المثال، تسببت الأضواء الساطعة

المنبعثة من الفنادق المطلة على ساحل المحيط الهادئ في المكسيك في أن تضل السلاحف البحرية طريقها إلى شواطئ التعشيش، ولم تعد قادرة على تحديد اتجاهاتها. وقبالة ساحل باجا Baja coast المكسيكي، تسببت الأعداد المتزايدة من القوارب السياحية التي تستخدم لمشاهدة الحيتان في فصل الأمهات عن صغارها، وهو الأمر الذي أدى إلى انخفاض أعداد الحيتان من جراء ذلك. وفي الساحل الشرقي لأستراليا المطل على المحيط الهادئ، أدى قيام السياح بإطعام الدلافين إلى تقليل قدرة الدلافين الشابة على إيجاد طعامها بنفسها. ولعل أكبر مشكلة تواجهها صناعة السياحة البيئية الساحلية هي تدمير الشعاب المرجانية، التي هي قضية معقدة ومتشابكة، حيث تتداخل مع أساليب صيد أسماك الشعاب المرجانية باستخدام المتفجرات blast fishing أو السموم، واستخراج المرجان لأغراض البناء، وصناعة الكلس limemaking، والأنشطة الساحلية الأخرى مثل ردم الشواطئ وأعمال الحفر والتجريف والتشييد. وتكون نتيجة ذلك هي تدهور حالة الشعاب المرجانية. كما يسهم نجم البحر الشوكي وصناعة السياحة الساحلية في تدمير تلك الشعاب. ويسهم تصريف المياه العادمة المعالجة بشكل سيئ أيضا في ذلك. ومن ناحية أخرى، فإن التغير المناخي والقضايا

المرتبطة به، مثل ارتفاع مستوى سطح البحر وزيادة حدة العواصف، كل ذلك له تأثيره على الموارد الساحلية. وقد يؤدي ارتفاع مستوى سطح البحر إلى زيادة تآكل السواحل، وغرق مواقع ساحلية فريدة من نوعها.

ويمكن تلخيص مظاهر هذا النوع السلبي من السياحة فيما يلي:

- إزعاج الحياة الفطرية الحيوانية بسبب كثرة الزوار.
- تدهور بعض الموائل الفطرية (مثل موائل الشعاب المرجانية)؛ بسبب زيادة أعداد السياح في مواقعها.
- تلوث الهواء والماء والتربة بسبب الحركة المرورية ووجود أعداد كبيرة من السياح.
- زيادة الضوضاء في المنطقة الساحلية.
- إلقاء المخلفات الصلبة والنظافة العامة في المنطقة الساحلية.
- إزالة الغطاء النباتي وسرعة تعرية التربة وفقدان خصوبتها في المنطقة المتاخمة للساحل.
- تأثيرات اجتماعية وثقافية من خلال إدخال عادات غريبة وتقاليد غير مقبولة على المجتمعات المحلية.
- تصرفات وممارسات بعض السياح التي تتنافى مع عادات وتقاليد السكان في بعض المناطق.
- هناك فنادق تبنى على المناطق الساحلية وتدعي بأنها فنادق بيئية ecolodges، وتحافظ على البيئة ومواردها الطبيعية، ولكنها في الوقت نفسه تصرف مخلفاتها السائلة دون معالجة في البحر، أو تسيء إدارتها للمخلفات الصلبة والموارد المائية والطاقة الكهربائية.

كيف نتجنب السلبيات والأخطاء التي تقع أثناء السياحة البيئية الساحلية؟

نظرا للمشكلات التي تواكب السياحة البيئية، فقد ارتأت منظمة السياحة العالمية التابعة للأمم المتحدة أن تدعو إلى تبني ما يعرف بالسياحة المستدامة كبديل للسياحة البيئية. وقد عرّفتها تلك المنظمة بأنها: «السياحة التي تأخذ بعين الاعتبار آثارها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية الحالية والمستقبلية، وتلبي احتياجات الزائرين والمجتمعات المضيفة وقطاعي الصناعة والبيئة». كما عرّفتها مجلة (ناتوروبا Naturopa) بأنها «أي شكل من الأنشطة السياحية التي

تحافظ على المدى الطويل على الموارد الطبيعية والثقافية والاجتماعية». وهذا يعني أن السياحة المستدامة لا ترتبط بالنواحي البيئية فقط، بل ترتبط أيضاً بالنواحي الاجتماعية والثقافية. فهي سياحة مسؤولة تحترم البيئة وحقوق الأجيال القادمة في الموارد الطبيعية، وفي الوقت نفسه تحترم البشر والثقافات، وتتفادى أي شكل من أشكال العنف ضدهم. كما أنها تعزز العلاقات الإيجابية الإنسانية بين الثقافات.

وهكذا، لكي نتجنب السلبيات والأخطاء التي تقع في أثناء السياحة البيئية الساحلية يجب الالتزام ببعض السياسات العامة والتقيد بتنفيذها، حتى تكون السياحة معتدلة ومتوازنة في عملياتها، ونضمن نجاحها واستدامة عطائها، وهي كما يلي:

- وضع خطة وطنية متكاملة وشاملة لإدارة السياحة البيئية بوجه عام، والساحلية بوجه خاص.
- حماية الحياة الفطرية النباتية والحيوانية والمحافظة على تنوعها وصحتها.
- المحافظة على التراث الثقافي المحلي والعادات والتقاليد الاجتماعية لسكان السواحل.
- عمل نظام متكامل لحماية البيئة الساحلية في المنطقة من ناحية خفض مستويات التلوث، ووضع خطة لإدارة المخلفات الصلبة والسائلة التي تنتج عن النشاط السياحي الساحلي.
- تحديد الطاقة الاستيعابية للمنطقة المزارة.
- إسهام السياحة البيئية الساحلية في حماية وتنمية مناطق الحياة الفطرية، وتؤدي إلى التنمية المستدامة للمجتمع المحلي.

- تدريب وتوعية العاملين في قطاع السياحة الساحلية على الاستهلاك الرشيد والمستدام للموارد وسبل حمايتها.
- وضع خطة إدارية لمناطق المحميات الساحلية، أو مواقع السياحة البيئية بشكل عام.
- التنسيق والتعاون بين كافة الجهات الحكومية وغير الحكومية المعنية بمناطق السياحة البيئية الساحلية.
- استحداث نظام لإعطاء شهادات الجودة والنوعية لشركات السياحة من أجل ضمان تنفيذها لمبادئ وتوجيهات السياحة البيئية الساحلية، وتقديم خدمات عالية للسياح.

- إجراء دراسات التقييم البيئي لكافة المرافق السياحة الساحلية.
- تعريف السائح بالعادات والتقاليد للمنطقة التي يزورها، واحترام تراثها الثقافي والديني.
- توفير المعلومات الدقيقة والتفصيلية والعلمية حول المناطق الساحلية المزارة، من حيث نوعية المواطن والحياة الفطرية النباتية والحيوانية التي تعيش بها، وأهمية كل منها.
- الاطلاع على التجارب السابقة في هذا المجال، ومحاولة الاستفادة منها والتعلم من أخطائها.
- النظرة المتكاملة إلى السائح من حيث توجيهه إلى كافة المرافق السياحية الموجودة في البلاد، إضافة إلى المناطق الخاصة بالسياحة البيئية الساحلية.
- المراقبة المستمرة لمناطق السياحة الساحلية، والتعرف على السلبيات التي قد تنجم عن زيارة السياح لها، واتخاذ إجراءات عملية للحد منها.

نحو سياحة ساحلية مستدامة

إن السياحة الساحلية المستدامة - في جوهرها – يجب أن تعمّر ولا تدمّر، وأن تعطي ولا تأخذ، وأن تحافظ ولا تلوّث، وأن تتقي الله في كل كبد رطبة في البحر، وفي كل نبتة خضراء تنمو على الساحل، وفي كل حبة رمل تفترش الشاطئ، ولا تعيث فسادا في البر أو البحر.

والسياحة الساحلية المستدامة لا تنتهج أساليب الأنواع الأخرى من السياحة التي لا تُصلِح بقدر ما تُفسِد، ولا تحترم الحياة الفطرية، بل تهضمها حقوقها، وتجوس في موائلها بالشر، إذ إن السياحة الساحلية المستدامة لا تنتج عنها نفايات خطرة أو ضارة. ولا تستهلك الماء والطاقة كما في الفنادق التجارية. إنها تقوم على الاستفادة من الطاقة المتجددة، واستغلال مصادر الإضاءة الطبيعية والخامات الأولية التي لا تنبعث منها ملوثات. وهي تشجع الأغذية العضوية التي لم تدخل في طرق إنتاجها مواد كيميائية أو هرمونات صناعية أو مخرجات الهندسة الوراثية. وهي لا تردم الشواطئ، ولا تخلق جزرا اصطناعية، ولا تغير في جيومورفيولوجية السواحل.

والسياحة الساحلية المستدامة مصدر جيد للدخل الوطني، فهي لا تتطلب رأسمال ضخم للاستثمار فيها. فالقليل من المال يكفي. إنها صناعة تقوم على الاقتصاد في استهلاك الموارد، والحد إلى أقصى مدى من إنتاج النفايات، وتدوير ما قد ينجم من مخلفات. إنها صناعة لا تقوم على (البهرجة) السياحية، بل على البساطة. فما أجمل أن ينزل المرء في كوخ خشبي خال من الجدران الأسمنتية ليطل منه على البحر الذي يمتد أمام ناظريه، ويشاهد الأمواج وهي تتسلق رمال الشاطئ، ويستظل بظل شجرة قرم (مانجروف) تعشعش فيها النوارس، وتحط عليها الطيور المهاجرة. فإذا عنّ له تغيير الحال، قام فامتطى زورقا صغيرا أو لوح

تزلج يركب به الأمواج، أو قام بالغوص ليستمتع بجمال الشعاب المرجانية وما فيها من مخلوقات بحرية زاهية الألوان.

والسياحة الساحلية المستدامة بقدر ما توفر للقائمين بها من موارد ساحلية، فإنها تحافظ أيضا على تلك الموارد للأجيال القادمة. فمنشآتها متوائمة مع الوسط المحيط بها فيزيائيا وبيئيا وجماليا.

أهم الاستنتاجات والتوصيات

١) إن تطوير السياحة البيئية الساحلية إلى سياحة ساحلية مستدامة أمر مطلوب، ولا يعتمد فقط على معرفة المنطقة الساحلية وما فيها من موارد، بل يعتمد أيضا على وجود خبرات ذات مستوى عال من المسؤولية البيئية والمهارات الإدارية. كما يعتمد على مراعاة الحقوق البيئية للأجيال القادمة، لاسيما الاستمتاع بالسواحل وما فيها من معالم إيكولوجية وثقافية.

٢) إن حماية الموارد الساحلية من خلال المحميات والمتنزهات البحرية مطلب ضروري لضمان نجاح شركات السياحة البيئية الساحلية في المستقبل.

٣) إن العديد من المتنزهات البحرية في المناطق الساحلية بالعالم تفتقر إلى الإدارة البيئية السليمة لها. ولهذا، لا بد من الاهتمام بهذه الإدارة في الدول الأعضاء بالمنظمة للارتقاء بمستوى السياحة البيئية الساحلية فيها، واجتذاب المزيد من السياح البيئيين إلى المنطقة.

٤) لتحقيق أهداف التنمية المستدامة للسواحل يجب اتخاذ التدابير المناسبة لتقسيم المناطق الساحلية حسب صلاحياتها للسياحة البيئية الساحلية، ومراقبة السلوكيات البيئية لزوار تلك المناطق، وتخطيط وتنسيق كافة الأعمال المتعلقة بالإدارة المستدامة للمناطق الساحلية.

٥) يجب أن تسهم السياحة البيئية الساحلية في تحقيق الاحترام والفهم المشترك بين السياح والمجتمعات المحلية، وأن ينسجم النشاط السياحي مع عادات وقوانين وأنظمة المنطقة.

٦) يجب العمل على إدخال مبادئ السياحة الساحلية المستدامة ضمن المناهج الدراسية.

٧) على كافة الجهات المعنية بالسياحة البيئية الساحلية حماية الموائل الطبيعية للحياة الفطرية، والعمل على المحافظة على الموارد الطبيعية كالماء والطاقة وخفض إنتاج المخلفات، وذلك من أجل استدامة النشاط السياحي الساحلي.

٨) يجب تخصيص جزء من أرباح النشاط السياحي الساحلي لتحقيق التنمية الاقتصادية للمجتمعات المحلية. كما يجب إشراك السكان المحليين في النشاط السياحي الساحلي في المنطقة من أجل رفع مستوى الدخل في المجتمع المحلي.

أهم المراجع:

١. د. نعيم الظاهر وسراب إلياس، مبادئ السياحة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١.

٢. د. إسماعيل محمد المدني، السياحة البيئية، الهيئة العامة لحماية الثروة البحرية والبيئة والحياة الفطرية، المنامة، ٢٠٠٢.

٣. د. هاشم أحمد السيد ود. حابس سماوي، السياحة البيئية البحرية في البحرين، وقائع وأبحاث ندوة السياحة البيئية في مملكة البحرين، الهيئة العامة لحماية الثروة البحرية والبيئية والحياة الفطرية، المنامة، فبراير ٢٠٠٣.

٤. سالم حميد سالم وطارق سلمان، الأصالة التفاعلية بين السياحة والبيئة المستدامة، المجلة العراقية لبحوث السوق وحماية المستهلك، المجلد الأول، العدد الثاني، ٢٠٠٩.

5. F. J. E. Paul, F. M. Stephen, and D. H. Christopher, Sustainable Tourism in Protected Areas: Guidelines for Planning and Management, International Union for Conservation of Nature and Natural Resources. UK, 2002.

6. M. Peter, Tourism Impacts, Planning and Management, Elsevier/ Butterworth-Heinemann, Waltham, MA, USA, 2003.

7. S. Marianna, and L. David, International Cultural Tourism: Management, Implications And Cases, Elsevier/ Butterworth-Heinemann, Waltham, MA, USA, 2005.

8. C. H. Joan, Tourism Crises: Causes, Consequences And Management, Elsevier/ Butterworth-Heinemann, Waltham, MA, USA, 2007.

المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية

ص.ب.: ٢٦٣٨٨ الصفاة ١٣١٢٤ دولة الكويت هاتف: ٢٥٣١٢١٤٠(٩٦٥)

فاكس: ٢٥٣٢٤١٧٢(٩٦٥) - ٢٥٣٣٥٢٣٧ (٩٦٥)

البريد الإلكتروني: ropme@ropme.org – www.ropme.org